مجلة أنثروبولوجيا P-ISSN: 041-2437
مجلد: **05** عدد: **10** السنة **2019** E-ISSN:2588-2325

الأمثال الشعبية القروية في التاريخ الريفي"حكمة الأجداد للأحفاد"

The popular proverbs in rural history "the wisdom of the ancestors for the descendants"

رامي ناصر

الجامعة الإسلامية في لبنان، لبنان. **doctor@gmail.com**

تاريخ الإرسال:2019/10/30 تاريخ القبول: 2019/12/04 تاريخ النشر: 2019/12/25

ملخص:

تزداد أهمية فهم موروثنا الشعبي كخطوة أولى تمهد لفهم الذات من أجل الحفاظ على هويتنا الحضارية في عصر الثقافة المعولمة والميديا. وإذ يشكل المثل الشعبي واحد من أهم عناصر هذا الموروث، كونه يعبر عن حال الناس وأخلاقهم الأولية، ويلعب دورًا مهمًا في الحفاظ على النسق القيمي في المجتمع القروي الزراعي. فهل تكفي العبرة في مضمونه الأخلاقي والاجتماعي للمحافظة عليه، أم أنه فقد معناه كون مادته اختلفت باختلاف البيئة.

وإذ تبدو مشكلة دراسة التراث الشعبي عامة والمثل الشعبي خاصة، وتأصيل الوعي به ناصية تشد إهتمام الباحثين، إلا أنها تستثير فهم تصورات ومنهجيات مختلفة، تتباين في مدى قدرتها على تحليل سياقاته، لكشف ابعاده الرمزية والتاريخية والاجتماعية، وصولاً إلى رصد اشكال استمراريته وانقطاعه، واستيضاح دوره في صياغة الراهن.

لذلك تبرز الحاجة إلى تأسيس معرفة علمية، تمكن الباحث من امتلاك مناهج بحثه، فتخلق بذلك علاقة إبداعية مع التراث، قائمة على فعل تحرره وتحريره من الأساليب الجامدة، تعطيه استقلالاً ذاتياً يفتح الباب أمامه لإمكانية دراسة التراث واستلهام دلالاته.

الكلمات المفتاحية: موروث، تراث شعبي، مأثور شعبي، ذاكرة شعبية، مثل.

Abstract:

Increasing the importance of understanding the popular heritage. As a first step paves the way for self-understanding in order to preserve cultural identity in the era of globalized media and culture. Bearing is a popular proverb one of the most important elements of this heritage, being expressed if people are primary and morals, and plays an important role in maintaining the moral pattern in the rural agricultural community.

Is it enough lesson in moral and social content to maintain it, or whether it has meant that the article differed depending on the environment. Taking look the problem of the study of public and private ideals popular folklore, and rooting awareness by the corner of grabbing the attention of researchers. but they evoke in them perceptions of different methodologies, they vary in their ability to contexts, to reveal its dimensions Avatar, historical and social analysis, to the monitoring forms of continuity and disconnection, and to clarify its role in the formulation of the current.

Therefore, there is a need to establish scientific knowledge, the researcher was able to own his research methods, they are created so creative relationship with heritage, based on the act of emancipation and liberation from rigid methods, give autonomy to open the door in front of him for the possibility of studying the heritage and inspired by its connotations.

Keywords : Heritage, Patrimoine, Legacy, Popular Memory, Proverb.

مقدمة:

عند الحديث عن تراثنا وموروثنا الشعبي وأهمية دراسته، والوعي بالخطوات الآيلة للمحافظة عليه من خلال فهمه، تثميره، وتفعيله. قد يبادر البعض إلى السؤال عن مدى أهمية الحفاظ على التراث اليوم والجدوى أو الفائدة من تداول هذا الموضوع باعتبار أنه من مخلفات ثقافة الماضي، في عصر التقانة والميديا والثقافة المعولمة .

إن التراث ليس من مخلفات ثقافة الماضي كما يتوهم الكثيرون، إنه استمرار الماضي في الحاضر، من حيث الدين، اللغة، الأدب، العادات، التقاليد، الأعراف، القيم، الأغاني، الأمثال، الحكايات، الأساطير، والحرف. إذًا فهو يشكل بنيانًا موضوعيًا ناشئًا عن ظروف اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، سياسية، وتاريخية، ويعبر بكليّته عن ماهية ذاتيّة لشخصية الشعب أي هويته الثقافية، فمن لا تاريخ له، لا حاضر يثق به، ولا مستقبل يتطلع إليه.

سنتطرق في ورقتنا هذه إلى واحد من أهم عناصر التراث، إلا وهو المثل الشعبي القروي. فالمثل الشعبي ليس مجرد عبارة إنشائية، بل وراءه حكاية تساق للاعتبار بما تضمنت من حكمة وبلاغة وجمال. إنه قول مأثور تحفظه الذاكرة تردده الخاصة والعامة، يعبر عن حال الناس وأخلاقهم الأولية، لأنه نتيجة اختباراتهم في الحياة، وصفوة علاقاتهم العملانية، وطريقة تفكيرهم وثقافتهم. وقد جاء عن لسان المفكر فرنسيس بايكون[1] **Francis Bacon** "أن أخلاق الشعوب تُكشف من أمثالها"(الراسي سلام).

ويقول الشاعر القروي :

لا السهل والوديان والجبل
وطني ولا الأنهار والسبل.
كلا ولا الأطلال, بل وطن
الناس ما قالوا وما فعلوا.

يأتي المثل أمثولة صادقة، طبيعية وعفوية مع الإيقاع والقافية، أحكام محكمة الوضع في جمل وجيزة يتناقله الناس عن طريق الرواية الشفاهية. "والأمثال منها ما هو وليد الخبرة يطلقها فيلسوف مفكر استنبط حكمة من عمق تفكيره وفلسفته، ومنها ما هو وليد الوجدان والعواطف، جاءت على إنسان عادي راقب الظواهر وعللها وجاء بحكم ضمنها خبرته في الحياة واختباره للدنيا. تماشي الحياة التي لا تسير على نمط واحد، نأخذ منها عبرة التصرف من أجل نأي النفس عن الهوى والسقوط في الخطأ، " فبقدر ما تتشابك الحياة وتتعقد شؤونها، يهب المثل من مكمنه ليعبر عنها، ويبقى رمزاً إليها"(عبود، مارون).

ويشير المستشرق السويدي كارلو لندبرغ **Carlo Lundeberg**[2] في كتابه "الأمثال السائرة والأقوال الدائرة عن أولاد العرب" إلى أن فهمنا للأمثال وأقوال الشعوب هو أفضل السبل لفهم المجتمعات(**Lundeberg Carlo**) لذلك فإن مهمة صون التراث، لا تقتصر على عمليات جمعه وتسجيله كمجرد تركة نقوم بصياغتها وجردها متحفياً، أي ألا نعيد نسخ وإنتاج المفردات التراثية بشكل تقليدي، تبقي على الشكل دون المضمون.

تحقيقًا لهذه الغاية، يجب علينا تشبيك جهود كافة الباحثين كل في اختصاصه، وتأسيس علاقة إبداعية مع التراث قائمة على فعل تحرر وتحرير من الأشكال الجامدة، تعطي الباحث استقلالاً ذاتياً يفتح الباب أمامه لإمكانية دراسة عناصر التراث كافة، لاستلهام دلالاتها، ومضامينها والوقوف على مقاصدها ومعانيها.

1. إشكالية البحث

في خضم الصراع الدائر اليوم في العالم، حول الهوية الحضارية للشعوب، تزداد أهمية فهمنا لتاريخنا عموما والتاريخ الريفي خصوصاً. تنطوي مساءلة الظروف المؤطرة للتراث الشعبي في الوقت الحاضر، على إشكالية مركبة لها وجوه عدة، يتصل بعضها بانحسار ووهن دلالاته، وبعضها الآخر بدعاوي تجاوزه، وقلة مردود التصورات البحثية التي تؤمن درسه والوعي به، وغياب تناوله من حيث طبيعة الترابط الجدلي المعقد بينه وبين سياقه الاجتماعي-الثقافي والتاريخي، في عصر تغيّرت مفاهيمه وأدواته ولغته. وتهدف هذه الورقة إلى الإجابة على ثلاث أسئلة :

هل تكفي العبرة من مضمونه الأخلاقي والاجتماعي للحفاظ عليه، أم أن عناصره فقدت معناها كون مادتها اختلفت باختلاف البيئة؟

هل يمكننا صياغة معرفة علمية بالتراث؟ وهل ستمكننا هذه المعرفة العلمية من صون عناصره والحفاظ عليها؟

2. تحديد أهداف البحث ومنهجيته

هذه الورقة هي ملخص دراسة أنثروبولوجية للأمثال الشعبية، إستمرت أربع سنوات، تم خلالها جمع أكثر من ثلاثة ألاف مثل، من مختلف المناطق اللبنانية، ساحلًا، جبلًا وبقاعًا. حاولت فيها إبراز مدلول المثل التاريخي، والاجتماعي والاقتصادي، ومدى ارتباطه بالبيئة التي نشأ فيها، وأهمية الدور والوظيفة التي يلعبها في الحفاظ على النسق القيمي، في مجتمع زراعي فلاحي قائم على العائلة الممتدة، حيث الكلمة الفاصلة لكبير العائلة أو شيخ العشيرة.

عمدت إلى قراءة الأمثال قراءة تركيبية- تحليلية، بدءًا من رصدها من ذاكرة الكنوز البشرية من كبار السن، مستخدمًا تقنية المقابلة المفتوحة، تلت عملية الجمع، أرشفة هذه

الأمثال تصنيفها وتحليلها مستخدمًا المنهج التحليلي المقارن، مقارنًا تشابهها مع غيرها بالمضمون رغم إختلاف اللفظ. وتجدر الإشارة أنني وجدت العديد من الأمثال المتداولة في قرانا، وافدًا من حضارات مختلفة كالهندية والأشورية والفارسية واليونانية وغيرها من الحضارات القديمة، وهذا ما حال دون إمكانية تحديد منشأها أو أصلها، وإن كانت لبعضها قصصًا تساق حولها.

تعريف المثل

ما السبب في طلب الإنسان فيما يسمعه ويقوله ويفعله ويرتئيه ويروي فيه الأمثال ؟ وما فائدة المثل ؟

"إن المَثَلْ والمُثُل والمُمَاثَلة والتَمْثيل، هو كلام رائق وغاية شريفة. وجاء على لسان أبو علي مسكويه: "إن الأمثال إنما تُضرب فيما لا تدركه الحواس مما تدركه". والسبب في ذلك إنسنا بالحواس، وإلفنا بها منذ أول كونها، لأنها مبادئ علومنا، منها نرتقي إلى غيرها. فإذا أخبر الإنسان بما لم يدركه أو حدث بما لم يشاهده، وكان غريباً عنده طلب له مثالاً من الحس، فإذا أعطي ذلك أنس به وسكن إليه لألفه له، فهو ما يوافق المقتضى ويبقى في الذاكرة"(التوحيدي، ابي حيان).

" ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم"(قرآن كريم).

ويشير أبو الحسن الماوردي في كتابه "الأمثال والحكم" أنه يشترط في الأقوال حتى تصبح أمثالاً، أربعة شروط أولها : صحة التشبيه، ثانيها : أن يكون العلم بها سابقاً والكل عليها موافقاً، ثالثها : أن يسرع وصولها الى الفهم ويعجل تصورها في الوهم، رابعها : أن تناسب حال السامع في التعبير عن الواقع "، فأبلغ الأقوال يجري مجرى الأمثال(الماوردي)[3].

3. أهمية المثل في فهم التاريخ الريفي والعلاقات المجتمعية

تبرز أهمية دراسة التراث الشعبي لفهم التاريخ الريفي، فالحاضر لا يمكننا فهمه إلا كنتاج تراكمي، والمعطيات الميدانية التي نحصل عليها، لا يمكن تعليلها إلا بوصفها تتابع معين للأحداث التي تضرب جذورها في الماضي.

إن فهمنا للعناصر الثقافية التي يشكل المثل إحدى لبناتها، يساعد على فهم تركيبة البنى الاجتماعية السائدة. فالإنسان هو نتاج ثقافة هذا المجتمع، كونه فرداً فاعلاً فيه، لان الحياة الإنسانية تعكس سيرورة التحولات، التي يمكن من خلالها رصد التحولات التاريخية في العلاقات الاجتماعية لأي مجتمع من المجتمعات.

لذلك فهو يشكل مظهراً هاماً من مظاهر الحضارة الإنسانية،لأنه يواكب الحياة, ويعبر عن واقع حال المجتمع، يدخل في خصوصياته ويميّزه عما عداه من مجتمعات، يعكس

مفاهيمه للحياة والموت والعلاقات الاجتماعية والطبيعة والطقس والفصول والزراعة والحرف اليدوية والعادات والتقاليد والأعراف، نتعرف من خلاله على المسموح والممنوع في المجتمع. نجد أن بعض الامثال أصبحت مع مرور الزمن كالأعراف تنظم الحياة الاجتماعية، لأن كلمة كبير السن في المجتمعات الريفية التقليدية كانت كفعل الدستور والقانون.

لقد شكلت الأرض والعمل فيها(الزراعة وتربية الحيوان)، المحور الذي تدور حوله حياة القروي، لذلك من الطبيعي أن نراها بارزة في كل مناحي حياته لأن بقائه يعتمد عليها، أما تنوع وتعدد الأمثال فهو ناتج عن اختلاف البيئة التي ينشأ فيها المرء. فنلاحظ أن العلاقة الخاصة التي جمعته بهذه الحيوانات، اعطته فلسفة وحكمة جسّدها في أمثاله وأقواله المأثورة. لذلك نجد بعض الأمثال الشعبية، لا تزال راسخة في أذهان الناس في ارياف جبل عامل، والبقاع الغربي والبقاع الشمالي، وشمال لبنان، بالإضافة الى بعض المدن الساحلية التي نزح اليها أبناء قرى هذه الارياف، الذين حافظوا على ثقافتهم القروية. يجدر الإشارة أنه رغم إقرار معظم الأفراد الذين فاقوا الأربعين عاماً، ممن أجرينا معهم مقابلاتنا الميدانية، بأهمية المضمون الاخلاقي والرمزي للأمثال الشعبية، إلا إن قلة منهم حاولوا تعليمها لأولادهم، لأنهم حسب ما قالوا لي "أن مضمون حكمتها لم يعد يلبي متطلبات الشباب اليوم".

أما في معرض مقارنة اختلاف الأمثال بين المناطق التي شملتها هذه الدراسة، لم نجد بينها إلا اختلافات طفيفة، سببها اختلاف لهجة كل منطقة عن الأخرى. فنلاحظ انه رغم الإختلاف فيما بينها، والذي لا يتعد إختلاف اللهجة أو التسمية في غالبيتها، فهي تشير إلى مغزى دلالي واحد.

- "كم طير طار ولعند ربو ما وصل". في قرى جبل عامل "ما وصل" تلفظ "ما وِصلش"

- " الخيل أخبر بفرسانا". في قرى جبل عامل يقال" الفرس أخبر بفارسا"

- "جلد الخنزير ما بيندبغ". "جلد الخنزير ما بيندبغش"

- "مين أدرى بحالك غير ربك وجارك" . "ما بيدِّرى بحالك إلا ألله وخيّك".

- "ما بتصير فلاح إلا إذا كان فدانك[4] من بقراتك ، وأجيرك من مرتك ، وبدارك من كوارتك". – يقال أيضاً :" نيّال الفلاح اللي فدَّانو من بقرتو وأجيرو من مرتو، وألله يعين الفلاح اللي بتموت مرتو وبينكسر فدانو".

فالفلاح أينما كان دونه معايير، لأن من يريد أن يكون فلاحاً يجب عليه أن يملك الثور لفلح الأرض ، ومن يساعده في الزراعة بالإضافة إلى تخزينه البذور. هذا المثل ما هو إلا أصدق تعبير عن الحالة الاجتماعية للفلاح. من لا يملك رأس بقر أو حمار ليفلح أرضه، وأبناء يساعدونه في أعمال

الزراعة، ولم يحتفظ بالبذار الجيدة للموسم القادم، لا يستطيع أن يكون فلاحاً كفؤاً وناجحاً. فهو بمساعدة أولاده يوفر أجرة العامل، ويوفر عليه الحيوان أجرة الفلاحة، وبإنتخاب أفضل بذار الموسم يضمن موسمه التالي.

تصور هذه الامثال واقع الحياة القروية التقليدية في رمزية تختصر معاناته وهواجسه بإيجاز بالغ الدقة.

- بأيلول مون عيالك وشيل الهم عن بالك .

حياة القروي حركة دائمة لا تهدئ، معاناة وهمّ لا ينتهي. فمن يريد أن يكون مرتاح البال عليه بالكد والعمل ليؤمن قوته وإلا فإنه لا يستطيع الصمود والبقاء مع عائلته.

- لولا الحنانة والمنانة والونانة كانت حالتنا بالجبل تعبانة.

فلولا البقرة وما تدر عليه من حليب ولبن ولحم، ولولا الدجاجة التي تقدم له كل يوم بيضاً طازجاً، ولولا النحل وما يجنيه من عسل لما استطاع عيشاً في الظروف القرية القاسية .

- البقر لحمو داء ولبنو دواء وسمنو شفاء.

هذا المثل لأشد ما يكون قريبا مما يحدث اليوم، بما يحمله أكل اللحم من مشاكل صحية. فالقروي ببديهيته وفطرته لاحظ ما يسببه أكل الحم من مشاكل كشفها العلم حديثا، ولاحظ أن الحليب الذي تربى عليه الأجيال واللبن مفيدان في معالجة بعض الأمراض كالزلال كونهما خفيفان على الهضم والسمن يعطيه الدفء والحرارة في الأيام الباردة، فيؤمن له الصحة والشفاء.

عندما ترك الزراعة وتربية الأبقار بعد نزوحه الى المدينة للعمل المأجور يقول:

- لا عنا بقر ولا منقوم عاسحر[5].

- اليوم يوم البربرية لا سراحة ولا رعيّة.

بالرغم مما تفْضِلُ عليه البقرة، تراه من خلال هذا المثل يعطينا فكرة عما يتكبده من مشقة السهر والاستيقاظ باكراً لرعاية أبقاره، فمن ليس لديه بقرة يربح نفسه من عناء المشقة. نجد للقروي في ميادينه قاموس لغة ومفاهيم : فقفّار النحل هو (النحال)، قطاع الهيش تعني (الفحام)، وخطار الفحل تعني (الراعي)، ومعاط الريش هو (الصياد). ويتشابه بعضها الآخر في المعنى رغم اختلافها لفظاً، وذلك لاختلاف المصطلحات بين منطقة وأخرى، فنلاحظ على سبيل المثال لا الحصر أن "النيص"[6] في منطقة هو "الشَّيْهَم" في منطقة أخرى، و"الكُزْ" هو "الجحش" (الحمار الصغير)، و"الكفكير"[7] في بعض قرى الجنوب هو "الدست" في قرى الجبل،.... إلخ.

كما تصبح الأمثال، لغة تهكمية للدلالة على النفور ممن يخرج عن اللياقة والأصول. فآداب للطعام عندهم يجب الالتزام بها، فيسخرون من الشره الذي يأكل بسرعة فيقال عنه "زلعومو متل

قسطل الصوبة أو السوبة" وهي مدفأة على المازوت. ويقال عن الفجعان في مناطق الجبل "معدتو(معدته) بدار مدّين[8]، أي أنه أكول ومعدته كبيرة لدرجة أنه يستطيع أكل عشرين كيلو.

يكرهون التأخير وعدم الالتزام بالمواعيد، فينتقدون المتأخر بقولهم : "أولج فلان"، أي أنه ذهب ليقضي أمراً ما، ولم يعد. مصطلح "أولج"، يشيرون به للمريض الذي دخل في الغيبوبة، ولم يستفق.

توجزون لنا أمثالهم ناموسهم وقانونهم في العمل

- الكسل ما بيطعمي (لا يطعم) عسل .

ما أبلغه مثلا يعطينا خلاصة شرح مطول عن هذا القانون الذي سنته لهم الطبيعة، من لا يعمل لا يجد لقمة العيش. فمن يريد أن يأكل عسل عليه أن يهتم بقفران النحل، والكد والجهد يملئ القروي خوابيه[9] وكواريه[10].

- كل الجمال بتعارك ألا جملنا بارك* (برك أي جلس على الأرض بدون حراك)

يقال هذا المثل تعبيرا عن الشاب الذي يجلس بدون عمل ، فلا يكلف نفس جهدا كبقية أترابه من أجل تأمين القوت الذي لا بد من الكفاح للوصول اليه .

نلاحظ أن جمالية مدلول بعض الأمثال المتداولة ما يكفي لبقائها حية ومفيدة، وراسخة في الذاكرة رغم أنها تأتي على لسان حيوانات لم تعد موجودة في القرية.

فالجمل كان سفينة الصحراء, التي تعين على الترحال ونقل الأحمال الثقال، بما لديه من قوة وجلد وصبر، لإجتياز أعتى المفازات وأطول المسافات. لكن أعداد الجمال بدأت تضاءل، فتوقفت تربيته وقل مقتناه، مع دخول السيارة عام 1948، ليقتصر تداولها على كبار السن ممن عاصروها وعاشروها واستخدموها، وبعض من نقلوا إليهم معارفهم.

- إذا عطفت ناقتك حلبا(أحلبها).

في معرض اغتنام الفرص في عصر يكثر فيه السبق والسباق والمنافسة، فربما لن تتكرر الفرصة مرة ثانية, فالناقة لا تعطي حليباً كل يوم، والضائع لن تتكرر عودته, ولا ينفع بعد ذلك ندم.

- جمل مطرح جمل يبرك .

ما أبلغه مثلاً يعبر عن أحوال القروي التي لا تتغير، فلا فرق بين اقطاعي وآخر في استغلاله للقروي العامل في الأرض، وكلما تأمل القروي بأن يتحسن الحال بقدوم فلان، يأتي فلان مثل غيره وربما أسوء. لقد توقفت عجلة الزمن بالنسبة اليه، فالتاريخ يعيد نفسه، ومعاناته هي نفسها في كل زمن. نسمعه يقول "راح الشبعان وإجا الجوعان"، السياسيون يتغيرون لكن السياسة لا تتغير.

- الجمل لو بيشوف حردبتو كان بيوقع وبيفك رقبتو.

يقال هذا المثل للذي لا يرى عيوبه بالرغم من فضاحتها وضخامتها, وينتقد عيوب الآخرين فهو " بيشوف القشة بعين الناس وما بيشوف الخشبة بعينو"

- كانت النصيحة بجمل

"رزق الله عا أيام زمان". كان للحكمة أربابها، نفر من المتعقلين أصحاب التجربة والخبرة، الذين يمكن أن يقصدهم المرء طلبا للنصيحة، لجلاء همومه ومشاكله. لذلك كانت النصيحة بثمنها أو "النصيحة بجمل" دلالة على لأهميتها وفائدتها.

أما اليوم فالجميع يدعي الحكمة والنصائح توزع بالمجان، بمحلها أو بغير محلها. لم يعد لها أي قيمة، لا مادية ولا معنوية، لأن أحداً لم يعد يصغي لصاحب التجربة، فلا حياة لمن تنادي ولا رأي لمن لا يطاع.

- غُبْ[11] غَبْ الجمال وقوم قبل الرجال.

أكل الرجال على قد أفعالها، فالفلاح لا يستطيع أن يؤدي عمله الشاق، إذا لم يأكل طعاما دسما يمده بالقوة. فالرجال تهب إلى العمل قبل الجميع، "لأنه على قدر أهل العزم تأتي العزائم"، فالحمية للغيور صاحب الهمة.

- الجمل بنية والجمال بنية ونية الله تغلب كل نية .

يا ما فَسَّرَتْ الناس الكلام عكس ما هو مقصود به. " فالحكي عربي والترجمان تركي"، الجمل في واد والجمال في واد آخر. كم من الناس، من أخذ على ظن، وأسيء اليه. لقد قال تعالى في كتابه الكريم : " إن بعض الظن إثم"، لكن ظنون الناس زادت، وكثرت آثامها. يؤل الكلام بغير معناه وتُحَمَّلْ العباءة أكثر مما تَحْمِل. لكن في النهاية, لا يصح إلا الصحيح، ولا يحدث إلا ما شاء ربك، لأن إرادته هي الغالبة.

كما تكثر الأمثال عن حيوانات لاتزال تربى في القرى للإستفادة منها على الرغم من فقدان تلك العلاقة الروحية التي كانت قائمة بينها وبين القروي والفلاح,

- المعزى عز لا تقطعوها من دياركن.

حكمة بليغة يعطيها المعّاز* لأولاده من بعده, فهي مصدر الرزق ومورد العز، تعطي الإنسان أكثر مما تأخذ منه. لا شيء منها يضيع , ولا شيء فيها لا منفعة له، فمن حليبها يصنع اللبن واللبنة والجبن والقريشة، ومن شعرها تحاك البسط والعبا والخيم، ومن جلدها يصنع الضرف خزان الزيت واللبن وخلافه، إما بعرها[12] فهو سماد للأرض دونه أي سماد. فإذا تضاءلت أعداد قلت الماعز, قل الخير والبركة.

وصية تصدر عن شيخ عركه الدهر، فأعطى لبنيه هذه النصيحة التي تقدر بجمل. أذكر أني خلال زياراتي الميدانية لإحدى القرى، سمعت أحد الرعاة يقول بمعرض مدح أحد أبناء قريته : فلان متل العنزة كلو منافع من حليبا ولحما وشعرا وبعرا.

وتجدر الإشارة إلى شيوع ظاهرة العودة لتربية الماعز في معظم القرى الجبلية, برغم من أن العلاقة مع الحيوان قد أصبحت مادية بحته, وذلك ابتغاء لمنافعه. لقد فقد الحيوان مكانته، وتحول إلى مجرد شيء نحتاج إليه في حياتنا اليومية, إذ انقطعت تلك العلاقة الإنسانية التي كانت تربطنا به.

- كم جدي أنطبخ بلبن إمو(والدته).

كم من الأطفال كانت أمهاتهم سبباً لمشاكلهم وأمراضهم، أو حتى موتهم. وذلك لجهلها بمسائل التربية, من النواحي الصحية- الغذائية. فالأم مدرسة عليك إعدادها، إذا أردت جيلاً سليماً وشعباً طيب الأعراق، يحترم القوانين وحرية الآخرين ويدافع عن الحق.

- شد البقر وشد البكر شك السفين في الحجر

إن هذا المثل يقترن بضرورة التحلي بالإرادة القوية. فجر البقر إذا "حَرَنْ" أو كما يقال بالعامية تَنْحَر، فيصبح شده كمن يدق إسفينا في الصخر. ويقال للذي عزم على تحقيق أمراً صعباً، يحتاج الى القوة والعزم لتحقيقه.

تقترن رغبته بالجلد والصبر والمعرفة، رغم المصاعب التي تواجهه، إدراكاً لغايته. يأتي هذا المثل خير معبر عن مدى صعوبة الأعمال التي يقوم بها القروي، فكل يوم يرعى البقر ويجره إلى الفلاحة، وتكسير صخور لتجليل الأرض، واستصلاحها للزراعة.

- اطلع (أنظر إلى) بالعنزة وأعرف حليبا

العنزة المعطاءة الجويدة تتميز بشكلها، فالمزارع الخبير يعرفها من مجرد النظر إليها، كذلك يجب الإستماع لحديث الرجال والنظر في عقولهم، لمعرفة عقّالهم من جهّالهم " فالديك الفصيح من البيضة بيصيح" و"أهل الكرامات فهم علامات".

- التلم الأعوج من التور لكبير

ثوران يجمعها نير واحد ويشدان سويةن لكن إذا كان أحدهما أكبر أو أقوى من الآخر، يميل النير الى كتفه، فينحرف الثلم ويكون مسؤولا عن الاعوجاج. تماما كالعائلة، يكون كبيرها سواء في المقام أو العمر هو المسؤول عنها، يتحمل مسؤولية إنحرافها وأخطائها. من هنا فالأكبر سنا والأكثر تجربةً وخبرة بحكم المراس والتجربة، يتحمل مسؤولية تجاه الأصغر سناً منه.

يأخذ هذا المثل بعداً تربوياً، لأن الانحراف في سلوك الصغير، هو خطأ الأكبر سناً منه الذي ولم يعن بتربيته جيداً، فتركه يشذ ويجنح. كما ينطبق على حال السياسة والسياسيين في الكثير من الدول, كانت القيادات مسؤولة عن أخطاء، عانى منها الشعب دفعت ثمنها البلاد.

- إذا شفت الناس عم يعبدو العجل حش وطعميه

حكمة طبعت مسلك القروي ليسلم. فإذا رأى الناس يسلكون مسلكاً سلكه ولم يعاكس التيار، حتى لو لم يكن موافقا. لقد تعود أن يصانع ويحابي الإقطاعي الذي يعمل في أرضه، حتى يؤمن

لقمة عيشه. إذا كان الناس على عرف وتقليد معين يجب على الجميع الأخذ به، وعدم المعارضة وإلا فمصير المخالف النبذ من المجتمع.

- بقر الدير بزرع الدير

المزارع كما يقول المثل "يضرب عصفورين بحجر" فهو يستفيد من مرتين من زراعته فجزء منها لقوته والباقي علف للحيوانات. فالزرع يقيت المزارع والحيوان في آن معا فيقال" من دهنو سقيلو".

- بآدار (شهر آذار) ضهر بقرك عالدار(أخرج البقر من المزرب إلى المرعى)

القروي والراعي هما رفيقا الفصول، لهما مع كل فصل في السنة عبرة وحكاية. شهر أذار، بداية الإعلان عن فصل الربيع والمرعى الوفير والطقس المعتدل، فيبدأ مربي الماشية بتسريح ماشيته طلبا للعشب الأخضر, بعد أشهر الشتاء الباردة في الحظيرة. يستعد القروي إبتداء من هذا الشهر لموسم العمل والجد والتعب، بعد موسم السكون والركود في المنزل. إن هذا المثل تسمعه على ألسنة الناس في القرى، وبخاصة المزارع العامل في الزراعة تعبيراً عن بدأ العمل في الإرض.

- جدي لعب بعقل تيس

كم مرة يساير العاقل الجاهل خوفاً من رد فعله، وكم من ولد أخضع أهله لمشيئته وطلباته بإلحاحه وبكائه، وكم من محتال إنطلت حيلته على أهل الفكر، فأقدموا على ما ينافي العقل والمنطق. يؤكد هذه المثل قاعدة ضرورة أن يسمع الصغير ويطيع النصح من الكبير، وليس العكس، ف : "أكبر منك بشهر أفهم منك بدهر"، و" الولد ولد ولو حكم بلد". لذلك لا يجود أن ينقاد أخيار الأمة وعقالها لإرادة السفهاء.

- صاحب التور بشد دَنَبو* (ذيله) "في قرى جبل عامل يقال صاحب الثور بيشد بذيلو".

مالك الشيء له الأمر والسلطان وكامل الحق ليفعل به ما يشاء، وصاحب الثور يستطيع أن يشد بذيله، لأنه صاحبه, يطعمه ويأويه. هكذا إذا احتاج أحدهم إلى خدمة من أحدهم، عليه أن يطلبها ممن "يمون عليه" ولا يرد له طلب, إما لحاجته إليه أما احتراماً له.

- كل عنزة معلق بكرعوبها. كل عنزة بتعرف قطيعا (قطيعها).

لكل عنزة قطيع اعتادت العيش بينه، تعرفه وتعود إليه دائماً. كذلك لكل إنسان بيئته ومحيطه الذي ينسجم فيه وينتمي اليه، فيه أصدقاؤه وأقاربه الذين يحرص على الإقامة بجانبهم، فلا يترك مجتمعه إلا في حالات الضرورة القصوى. فالقروي ينسجم مع مجتمع قريته لأنه يفهمه جيداً، ويجد جو حرية والأمان بين أقرانه وأترابه. كل الإنسان هو إبن بيئته و"صاحب البيت أدرى بما فيه".

- كم هرش بالمراعي يرعى وكم جدي تسلخوا الرعيان.

على لسان الحيوان بالمثل يصيغ حكمة الدنيا؛ فالموت لا يسلم منه أحد. فكم من كبير هرم لا يزال حيا يرزق، وكم من صبي بالمهد أو شاب في عز قوته خطفتهما المنية في ريعان العمر. كما تتمثل طبيعة الأرض والحيوان المعطاء في أمثاله، التي تدعو الى الفضيلة والشهامة وحسن التربية والتهذيب والخير والإنسانية. نجد فيها مكانا واسعا للشجاعة والكرم وحسن الضيافة، والمحبة، والعدل، والإعتماد على النفس، والتسامح، والصدق، والتواضع، والتعاون ومساعدة الغير.

4. المثل من خلال دوره ووظيفته

يستمد المثل رموزه من البيئة التي ينبت ويولد فيها، ولما كان المجتمع القروي مجتمعا يعتمد على الزراعة وتربية الحيوان، نرى أن معظم ألأمثال تأتي من عناصر الطبيعة وعلى لسان الحيوانات التي عاشرها واعتمد عليها في معاشه. فنلاحظها ناطقة بالأمثال والحكم، للتعبير من خلالها عن المفاهيم الإنسانية. ويعتبر الفيلسوف الإغريقي إيزوب[13] **Esope** من أوئل الذين كتبوا أمثلتهم على ألسنة الحيوانات.

"قالوا للديك صيح قلّن كل شي بوقتو مليح "

"كونوا بسطاء كالحمام وحكماء كالحيات" . مثل سومري

تستخدم الأمثال في المجتمعات الريفية التقليدية كوسيلة :

- لربط الأجيال المتعاقبة ربطاً محكماً قوياً فهو يقوي الصلة بين الإجيال ويكرس الإحترام بين كبار السن وصغاره. فالقطيعة بين الأجيال التي نشهدها اليوم سببها عدم الأخذ بالقيم التي نشأ عليها آباؤنا, والعكس صحيح.
- نقل معارف وخبرات كبار السن, كونه خلاصة الخبرة والتجربة التي يحتاج اليها القروي والفلاح للبقاء في ظروف عيش قاسية. لذلك كانت التجربة عندهم المعلم الأكبر، التي تكتسب منها الحكمة.

إبنك ما تعلمو الدهر بيعلمو

إسأل مجرب وما تسأل حكيم

- طريقة لإصلاح التربية والحفاظ على قيم المجتمع، وتنمية للقيم التي تزخربها تركيبة العلاقات الإجتماعية، التي تنطوي على مبادىء الأخلاق والتعاون والشجاعة والصدق والكرم.
- غاية تعليمية تثقيفية لإعداد أفراد المجتمع، أعتمد عليه منذ القدم لقلة المدارس وندرة وجود الكتب.

من هنا نلاحظ بأن المثل وسيلة ناجعة تكثر إستعمالها لنقل الحكمة أو التجربة، أو عند الوقوع في مشكلة صعبة الحل، بأسلوب ما قل ودل أي الموجز المقتضب الذي يوصل النصيحة لطالبها عند الحاجة، فالنصيحة تساوي جملاً لأنها قيّمة جدا.

إنه العبرة وخلاصة تجربة الحكماء، ينقلها الأقدمون الى الأجيال الجديدة. لذلك نلاحظ أن من يحفظ هذه الأمثال، هم معظم كبار السن في الارياف والقرى.

5. عالمية وإنتشارية الأمثال الشعبية القروية

أشار معظم الأدباء الذين تطرقوا إلى موضوع الأمثال القروية، مثل أنيس فريحة، وسلام الراسي، ومارون عبود، وأمين نخلة، والدكتور يوسف الحوراني وغيرهم، إلى صعوبة تحديد مصدر معظم الأمثال الشعبية الأقوال المأثورة، والتي على الرغم من إمكانية تحديد نسب بعضها، تبقى غالبيتها مجهولة المصدر.

أمثال شعبية لبنانية	أمثال شعبية من آسيا	أمثال شعبية من أوروبا	أمثال شعبية من إفريقيا
اللي بيدق الباب بيسمع الجواب	Yowari me ni tatari me. المصائب لا تأتي بمفردها مثل ياباني	Qui cultive sa terre fait la recolte. مثل فرنسي	من يثرعش الدبابير عليه أن يجيد الركض مثل سنغالي
أطلب العلم ولو في الصين	rokujuu no tenara تعلم الكتابة ولو بعد الستين. مثل ياباني	Recherchez le savoir fût-ce en Chine مثل فرنسي	لا وقت للعلم ولا نهاية للمعرفة.. كوت ديفوار
كام جدي انطبخ بلبن إمو(والدته).	العنزة تلد الجدي ليذهب إلى القصاب. مثل إيراني	Les enfants payent les fauttes de leurs parents مثل فرنسي	السمك يثق بالماء، لكنه هو ذاته الماء الذي سيطبخ فيه. بوركينا فاسو
ضوي شمعة بدل ما تلعن العتمة	Toudai moto kurashi. الظلام موجود تحت الشمعة. مثل ياباني	Essayez, au lieu de critiquez مثل فرنسي.	اعبر النهر قبل أن تبدأ في التهكم على التمساح. مثل كونغولي.
الجمل لو شاف حردبتو كان وقع وكسر رقبتو.	No naka no kawazutaikai wo shirazu الضفدع الذي في البئر لا يعرف المحيط. ياباني	Ne commets pas le delit que tu defends a autrui لا تنهي عن خلق وتأتي بمثله. فرنسي	القرد الذي لا ينظر إلى مؤخرته يسخر من القردة الآخرين. أثيوبي
الكلاب تنبح والقافلة تسير	Saigetsu hito wo matazu الوقت والفرص لا تنتظران	Не бо́йся со ба́ки, что ла́	نقيق الضفاضع لا يمنع الفيل من الشرب.

	أحد. ياباني	ет, а бо́йся той, что молчи́т и хвосто́м в иля́ет الكلاب التي تعوي لا توقف القافلة. روسي	كوت ديفوار
المرا المساقبة خير من العاقبة	Mime yori kokora القلب أهم من المظهر. ياباني	Ищи спутника прежде дороги, а жена прежде дома أطلب الرفيق قبل الطريق والزوجة قبل المنزل. روسي	رجل بلا إمرأة، كسلحفاة دون قوقعة. كاميرون
إبن العشاير ولو كان حمار لا تكاري عليه.	Baka mo ichi gei حتى الغبي لديه موهبة ياباني	On ne peut pas monter l'ane comme un cheval. فرنسي	يبثّ الفهد الرعب، حتى وإن فقد أنيابه. كاميرون
المؤمن لا يلدغ من الحجر مرتين	nido to onaji te wa kuwanaiالسمكة لا تأكل من نفس الطعم مرتين. ياباني	Обже́гшись на молоке́, д у́ют на́ воду من إكتوى بالحليب ينفخ في اللبن. روسي	من تعرض إلى عضة ثعبان، يخشى حتى من اليرقة. كاميرون

إســـــأل مجـــرب ولا تسأل حكيم.	Hiza tomo dangou استشر أي واحد حتى ركبتيك. ياباني	Не спра́шивай ста́рого, спра́шивай быва́лого لا تسأل الطبيب إسأل الحكيم ذو الخبرة. روسي	إذا إتبعك النحل فهل يعني إنك أكلت عسلاً. كاميرون
غلطة الشاطر بألف.	Koubou mo fude no ayamari حتى أبرع الخطاطين قد يخطئ في الخط. ياباني	Не ошиба́ется тот, кто ничего́ не де́лает وحده من لا يعمل لا يخطئ. روسي	حتى أبرع القطط التي تنبش في القمامة قد تقع فيها. كوت ديفوار
القرد بعين إمو غزال	Baka no ko hodo kawai الطفل الأغبى في العائلة هو المحبوب . ياباني	Кривой среди слепых – султан الأعور بين العميان سلطان. روسي	روث الدجاج يظل قصرًا ذهبيًا بالنسبة للديك رغم عطونة المكان كوت ديفوار
إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب	iwanu ga hana التي لا تتكلم هي الزهرة ياباني	Сло́во — се́ребро, молча́ние – зо́лото إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب روسي	لتكسب إبقى فمك مقفلاً. كونغولي
من الدلفة لتحت المزراب	خواستم خضر را ببينم راد ديدم. وددت أن أرى الخضر فرأيت الذئب إيراني	Qui excuse s'accuse حاولت تبرير الخطأ فأصبحت متهمًا. فرنسي	هرب من القطط ليقع في براثن النمر. كاميرون

ويعزوا دارسو التراث الشعبي، التقارب بين أمثالنا القروية مع ما سبقها من أقوال الشعوب الأخرى إلى تشابه دور ووظيفة هذه الاقوال والامثال، بالإضافة إلى تشابه البيئة التي استمدت منها مادتها. جدر الإشارة إلى أن بعض الأمثال كانت أقوالاً مأثورة, فلما دخلت الذاكرة الشعبي مع انتقالها على ألسنة الناس، خسرت بذلك حسبها ونسبها الفعلي. لقد شكل المثل الشعبي منذ القدم، لغة مشتركة بين جميع الشعوب كونه زبدة فلسفاتها الاجتماعية. إنه نتاج تشابك وتمازج بين العديد من الحضارات، انتقل إلى الأجيال ومعها بواسطة الحروب والغزوات, والتجارة والتبادل الثقافي، حتى وصلنا على ما هو عليه.

يبين الباحث الدكتور يوسف حوراني في دراسته : أنه لا يمكن حصر الامثال والاقوال في بيئة معينة, لانها تجارب عامة لمجتمع مستقر, متوازن و متضامن اجتماعياً وعائلياً، وفيها من عمق التجربة ما لا يحده حدود[14].

يشير الباحث نفسه في كتابه "**جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي" أن** ضرب مثل من أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية انتشارا وشيوعا، ولا تخلو منها أية ثقافة، إذ نجدها تعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءتها، وتجسد أفكار الشعوب وتصوراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها، في صورة حية وفي دلالة إنسانية شاملة، فهي بذلك عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها. إيجاز نصها وجمال لفظها وكثافة معانيها، ساهما بسرعة انتشارها وتداولها من جيل إلى جيل، وانتقالها من لغة إلى أخرى عبر الأزمنة والأمكنة، ويعتبر ادموند بيلووا، رئيس قسم اللغات الافريقية واللسانيات بجامعة "ياوندي" بالكاميرون، أن هذا الرابط الجوهري هو الذي يبرر اللجوء إلى استحضار الحيوان في الأمثال الافريقية. يحلل "بيلووا"[15]Edmond Biloaهذه الميزة قائلاً: "اعتدنا في ثقافاتنا الاعتماد على مرجعية الحيوانات التي تقاسمنا حياتنا اليومية، لذلك فنحن نشخص هذه الحيوانات في أمثالنا من أجل رسم صورة أكثر وضوحا، وتقريبها للإنسان."

في المجتمعات الإفريقية، حيث تسيطر ثقافة المشافهة يربط الناس بين إتقان فن الكلام وبين الاستخدام الذكي والمناسب لهذه الأمثلة التي تهدف إلى إسداء نصيحة، أو نقل موعظة، أو بثّ معرفة.وتمكّن شخصنة حيوانات البراري والغابات والصحاري من الكشف عن سلوكيات إنسانية، من خلال طرح واستحضار مواضيع الحسد والسخرية والجشع والحب والصبر، إلى غيرها من المواضيع. في معرض المقارنة إلى التشابه بين الأمثال التي جمعناها من الميدان مع بعض الامثال الشعبية من ثقافات آسيوية، أوروبية وأفريقية نورد بعض الأمثلة :

يؤكد هذا التقارب إنتشارية هذه الأمثال وعالميتها، لأنها تتخطى حدود اللغة وتتشابك بوحدة التجربة الإنسانية، ووحدة العناصر الطبيعية التي تستمد منها مادتها.

6. خاتمة:

لقد عرضنا فيما تقدم مجموعة من الأمثال التي لا تزال منشرة وقيد التداول. لكن شواهد المقابلات التي أجريناها ترسم لنا واقعاً متحولاً يعيشه هذا العنصر التراثي؛ فمن الملفت أن الحفظ والمحافظة على هذه الحكم والاقوال، لا ينعكس عند الكثير من القرويين رغبة في تعليمها وتوريثها لأولادهم. حيث كان أفراد المجتمع القروي التقليدي، يصيغون بساطة التدبير في معاشهم اليومي من عندياتهم، فلما زاد ارتباط ثقافتهم، بسيرورة التغيرات الحديثة الداخلية منها والخارجية، تسارعت وتيرة تثاقفهم مع محيطهم المحلي، الإقليمي والدولي، مما أسقط عليهم نمط وأسلوب عيش مغاير.

نجدها أبلغ دلالة على ارتباط المثل ببيئته الطبيعية التي يستمد منها قوته، فعندما تغيّرت البيئة فقدت الأمثال دورها ووظيفتها، وضاع الكثير منها لأنها لم تعد تعبر عن واقع الحال. لقد أصبح حافظوها يعيشون في غربة، أو كما عبّر لي أحدهم " يا زلمي إذا قلتلك شي متل بيطلعوا فيك(ينظرون إليك) كأنك عم تحكي لغة منقرضة ما بيفهما حدا (لا يفهمها أحد) . فعلى الرغم من أن المثل يخاطب العقل والقلب، نظراً لما له من تأثير في النفوس، وما تعجز عنه المقالات والكتب، كونه خلاصة منتوج الفكر في سكنى التجربة والملاحظة، فهي عشرة الزمان من فيض المكان، وإناسة العلائق في الإنساني والمعاش. لكن اليوم أين هي هذه القيم في غياب الحافز التعليمي، في ظل تغيّر نمط العيش وتحول الإنسان في عصر الحداثة والعولمة إلى لما يشبه الآلة؟ إن انقطاع العلاقة الروحية التي كانت تربط القروي بأرضه وبيئته، باعتبارها مصدر الحياة لإعتماده عليها في معيشه، افقد المثل المصدر الذي يستقي منه مادته وشريانه الأساس. وبغض النظر عن مدى محافظته على وظيفته ودوره، إلا أننا في إبتعاد متزايد عنه حتى نكاد نفقده حتى من الذاكرة.

يبين تحليل المقابلات، موقفاً من التجاوز والقطيعة يهون من شأن المثل الشعبي، ويطرح افتراضات خاطئة باعتباره مجرد منظومة من الاقوال، صادرة بغالبها عن أشخاص غير متعلمين، نتاج تراكم قيم وتقاليد لم تعد تناسب مقتضيات العصر، تولد جموداً يعيق التقدم، لا نشاط له دلالته وفاعليته. وإذ تبدو مشكلة دراسة التراث الشعبي عامة والمثل الشعبي خاصة، وتأصيل الوعي به ناصية تشد إهتمام الباحثين، إلا أنها تستثير فهم تصورات ومنهجيات مختلفة، تتباين في مدى قدرتها على تحليل سياقاته، لكشف ابعاده الرمزية والتاريخية والاجتماعية، وصولاً إلى رصد اشكال استمراريته وانقطاعه، واستيضاح دوره في صياغة الراهن.

أستذكر بعض الصعوبات التي واجهتني خلال عملية الجمع أثناء عملي مع القرويين والرعاة، فالكثير من كبار السن لم تعد تسعفهم الذاكرة لتذكر الأمثال وذلك لعدم تداولها. كما فاجأهم سؤالي عن الأمثال الشعبية في البداية، وكانوا يتساءلون عن غايتي بشيء من الريبة. فبرغم من أني كنت أخاطب ذاكرتهم وخبزهم الفكري، شعرت أنني أسأل عن أشياء منسية لا يودون تذكرها، لإلّا تعيد لهم

الحنين الى أمسهم الذي ضاع او على طريق الضياع، في عصر التهميش والاستبعاد والاستهلاك والثقافة المستوردة.

8. توصيات

ستبقى القرية هي البيئة الصالحة لشيوع المثل, فهي البيئة الخصبة التي يستمد منها مضمونه الرمزي. ويظهر لنا تناقل الأمثال وتداولها عبر الأجيال، مدى قوة تأثيرها ومدى منفعتها. فكلما شارك فيه العقل البشري على اختلاف طبقاته، كلما ثَبُتَ ونُقِلَ من جيل إلى جيل.

ورثناها عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا.

لذلك فإن إعادة التواصل بين الأجيال ضروري للمحافظة على الهوية الثقافية والحضارية, في مواجهة العولمة التي تقطع الجذور وتقصف الفروع.

تبرز الحاجة إلى تأسيس معرفة علمية، تمكن الباحث من امتلاك مناهج بحثه، فتخلق بذلك علاقة إبداعية مع التراث، قائمة على فعل تحرره وتحريره من الأساليب الجامدة، تعطيه استقلالاً ذاتياً يفتح الباب أمامه لإمكانية دراسة التراث واستلهام دلالاته. تلعب هذه المعرفة دوراً على ثلاث مستويات :

المستوى الأول : يمنح فهما للعمق التاريخي للمجتمع، وذلك لارتباط التراث الشعبي بالجذور والارض بعيداً عن أي رؤية تجريدية تختزله إلى قوام منفصل قسراً عن معطيات علاقته التاريخية ونسيجه تشكله الاجتماعي.

المستوى الثاني : يساهم في الكشف عن الخصوصية، إذا فهو يشكل بنياناً موضوعياً ناشئاً عن ظروف اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، سياسية، وتاريخية ويعبر بكليّته عن ماهية ذاتيّة لشخصية الشعب أي هويته الثقافية.

المستوى الثالث : يكشف عن جوهره ومضمونه الثقافي/الرمزي، الذي لم ينل حظه من الدراسة التي تستوعب شموله، وذلك بقراءته قراءة تفكيكية- تركيبية، تقوم على الجمع والتصنيف والأرشفة، تليها مرحلة البحث وتحليل.

ويعتبر الباحث المصري الدكتور محمد حافظ دياب أن إمكانية التأسيس لهذه المعرفة تبقى دونها الإشتراطات التالية :

أ. عدم اعتباره عائقا أمام التقدم ووصفه بالجمود والتخلف.

ب. عدم وصف مضمونه، بالبدع والخرافات وذلك بقصد تحريمه.

ت. عدم تقييده في إطار محلي أو طائفي واعتباره عامل انفصال اجتماعي وثقافي ونزع عنه صفة التنوع والتعددية الثقافية.

ث. عدم استبدال تجليات التراث المعاشة بتصورات أخرى تسقط عليه تؤدي إلى تشويه مضمونه الثقافي والرمزي وذلك بإعطائه ترميزات حداثية وعناصر دخيلة تخضعه لعملية إعادة طلاء تحوله إلى مقتنى متحفي صرف.

ج. عدم اختزال المضمون التراثي إلى عوالم مصغرة تؤدي إلى مسخه على حساب الوظيفة الاجتماعية الأصلية.

ح. عدم جواز دراسته بعيدا عن مكان وزمان والبيئة التي تشكلت فيها عناصره ، هذا ما يعكس عمق الانفصام بين المادة التراثية وبين دارسيها. (دياب، محمد حافظ)

يتطلب الوقوف على هذه الإشتراطات وتحقيقها، تضافر الجهود على المستويات كافة :

1. **المنزل** : إعادة إحياء العلاقة التفاعلية مع كبار السن، نظرا لأهميتها في فهم تكون الشخصية الثقافية، بعيداً عن التلفزيون الذي يجعل المشاهد مجرد متلقي دون أي علاقة تفاعل. وهذا يؤكد مدى أهمية فهم المادة التراثية كمقدمة لبناء الذات وفهم خصوصيتها.
2. **المدرسة** :

- إدخال المادة التراثية في النشاطات اللاصفيّة كالحكايات والأغاني الشعبية والمسرح الشعبي مع شرح وتفسير مضمونها الثقافي الرمزي والتربوي، والهدف بناء علاقة تفاعلية بين الطالب وتراثه، لا جعله مجرد سامع ومشاهد ومتلقي وذلك من خلال المناقشة والتعليقات وإبداء الرأي.
- السعي إلى اكتشاف المواهب والإبداعات، لدعمها وتثميرها وتوفير شروط نجاحها وإستمرارها.
- تخصيص زيارات ميدانية تتيح للطالب المشاركة والمساهمة في الحفاظ على المادة التراثية.

3. **الجامعة** :

- الاهتمام بالفروع التي تدرس التراث بكافة مناحيه كالآداب والفنون والآثار والتاريخ والأنثروبولوجيا وغيرها من الفروع وتدريب الباحثين على رصد وجمع المعطيات الميدانية، تقنيات الملاحظة والتدوين، وتحليل السلوك، ليتمكنوا من بحث وفهم الافتراضات الثقافية (قيم، عادات، تقاليد، معتقدات ...).
- التركيز على المقاربة النسبية للمادة التراثية، فلا وجود لثقافة أدنى أو أرقى، فلا نحكم على قيم الآخر انطلاقاً من قيمنا ومعاييرنا الثقافية.
- اعتماد وتفعيل تجربة "المختبرات البحثية للمادة التراثية" نظراً لأهمية هذه التجربة في المحافظة على المادة التراثية، وتحليلها، وفهمها، وجعلها مادة حية بمتناول الباحثين والدارسين والمهتمين.

الهوامش:

[1] فرانسيس بيكون Francis Bacon (1561-1621)، فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب ". يعتبر من الرواد الذين انتهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس.

[2] كارلو، لندبرغ،(1848-1924) مستشرق سويدي عاش فترة طويلة في لبنان وسوريا، تعلم العربية ومارس مهنة الطب، وكان لديه الكثير من الحكم والأقوال.

[3] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي أكبر قضاة آخر الدولة العباسية، فقيه ومفسر وعلم اجتماع وسياسي).

[4] الثور الذي يستخدم للفلاحة.

[5] سَحَرْ: آخر ساعات الليل قبيل انبلاج الفجر [المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، ط 30، بيروت ، 1986 ، ص 323.

[6] حيوان بطيء الحركة يشبه السنجاب, يخرج رائحة كريهة من غدة في مؤخرة الذنب، يبعد بها أعداءه.

[7] أداة نحاسية تشبه اللكن(الوعاء الكبير) تستعمل في طهو الطعام.

[8] "المد" هو وحدة وزن تعادل عشرة كيلوغرام.

[9] جمع خابية، وهي جرة الفخار الكبيرة التي يوضع فيها زيت الزيتون بعد عصره.

[10] جمع كوّارة، وهي فجوة في الحائط أو وعاء يخزن فيه الطحين أو القمح والحبوب.

[11] غب الماء أي شرب من دون تنفس، وغب الطعام أي أكل ملئ الفم.

[12] سواد الماعز أي خروجها.

[13] فيلسوف إغريقي عاش بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد.

[14] الحوراني يوسف، جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي, دار النهار, بيروت، 1994، ص151،149.

[15] Beloa, Edmond, l'effait des proverbs sur la vie social du Cameroun , tese doctorat, universite Yawndi, cameroun, 1995.